

المدينة والأوبئة "وباء كورونا نموذجا"

City and epidemics "a model corona epidemic"

سهام وناسي¹

¹ جامعة باتنة 1 (الجزائر). sihemouanassi@yahoo.com

تاريخ القبول: 2021/09/26

تاريخ الإرسال: 2021/05/10

ملخص:

على مر التاريخ عانت المدن من أوبئة مدمرة ولكنها ازدهرت لتنمو بشكل أكبر وأكثر كثافة، حيث يعيش أغلب الأشخاص من المصابين بفيروس كورونا "كوفيد 19" في المناطق الحضرية، وانطلاقا من خصائص حياة التمدن والتحضري ظل تفشي وباء كورونا وما له من تداعيات على جميع الأصعدة والمستويات، فقد أفرزت المشاكل التي ظهرت خلال هذه الأزمة ضرورة إعادة النظر ومراجعة السياسات الحضرية وذلك لتوفير المناعة الصحية للمدن من خلال عملية التخطيط الحضري للمدن لتكون أكثر صحة ومناعة وذلك على عدة مستويات تراعى فيها شروط الوقاية من هذا الوباء، لذلك ستظل المدن تكتسي أهمية بالغة بالنسبة للمجتمع البشري لكنها بحاجة إلى التغيير، الأمر الذي قد يتطلب تغييرات كثيرة في استخدامات الأرض وتقسيمها وتشجيع العمل عن بعد حيثما أمكن ذلك، وهكذا تم طرح مفاهيم جديدة مدن ذكية مدن صحية.

الكلمات المفتاحية: المدينة؛ الأوبئة؛ وباء كورونا؛ التخطيط الحضري؛ مدن صحية.

Abstract

Throughout history, cities have suffered from devastating epidemics, but they flourished to grow larger and more intensively, as most people living with Corona virus "Covid 19" live in urban areas, based on the characteristics of urban life and urbanization and in light of the outbreak of the Corona epidemic and its repercussions at all levels and levels The problems that arose during this crisis resulted in the necessity of reviewing and reviewing urban policies in order to provide healthy immunity to cities through the urban planning process for cities to be healthier and more immune at several levels in which the conditions for preventing the epidemic are taken into account, Therefore cities will continue to be of great importance to human society, but they need to change, which may require many changes in the use of the land, its division and the encouragement of remote work wherever possible, and thus new concepts were proposed, smart cities, healthy cities.

Keywords: city ; epidemics; epidemics krona; urban planning; healthy citie.

* المؤلف المرسل

1- مقدمة

ينذر انتشار الأوبئة والجائحات بمخاطر صحية واجتماعية واقتصادية على نطاق واسع مما قد يؤدي بحياة عشرات الملايين من الناس، وتعطيل الحياة الاقتصادية، وزعزعة الأمن الوطني، وتغيّر المناخ والتوسّع العمراني، ونقص خدمات المياه والصرف الصحي..الخ.

إن جائحة فيروس كوفيد 19 لا تمثل أزمة صحية كبرى فحسب بل تداعياتها ولدت أزمات اجتماعية واقتصادية وسياسية ستترك آثار سلبية في كل دول العالم، وكشفت عن هشاشة النظم الصحية في معظم دول العالم، كما كشفت عن عدم قدرة المدن عن مواجهة هذا الأخير خاصة أن مواجهته تفرض التباعد الاجتماعي والحجر الصحي في وقت صنفت فيه المدن بعض المدن في العالم بالعملاقة وأغلبية المدن كثافتها السكانية عالية، لذلك وفي ضوء التداعيات والتحديات التي خلفها الوباء العالمي ضرورة إعادة النظر في التخطيط الحضري والسياسات الحضرية، ودراسة وتقييم مستوى أداء القطاعات الحضرية المختلفة ودورها في تجاوز وباء كورونا والعمل على تلافي أوجه القصور في السياسات التخطيطية والتصميمية لتقوية دور المدن وتعزيز قدرتها في الأزمات، لذلك وجب العمل على جعل المدن صحية مع الأخذ بعين الاعتبار الأسس الصحية للوقاية من الوباء المعولم، كما كان للأوبئة التي اجتاحت المدن في السابق دور فاعل في تحديد معايير شكل المدن الحديثة.

وانطلاقا مما سبق نطرح الإشكال التالي: ما هو واقع المدن خلال وباء كورونا؟ وكيف يمكن النظر إلى التخطيط والسياسات الحضرية المستقبلية للمدن كآليات للوقاية من الأوبئة؟

وقد قسمنا هذه الورقة البحثية إلى تعريف وباء كورونا، ثم التطرق إلى مشكلات المدن، ثم التطرق إلى الأوبئة عبر التاريخ والتركيز على أوبئة المدن تاريخيا، وواقع المدن خلال انتشار الوباء وجهودها للحد منه، وأخيرا الأمن الصحي كضرورة ملحة في التخطيط الحضري.

2- تعريف وباء كورونا:

يعرف الوباء على أنه زيادة مفاجئة وسريعة في عدد حالات المرض على نحو أعلى من المتوقع في مجتمع، ويمتد على رقعة جغرافية أوسع، والجائحة تحدث عندما ينتشر الوباء إلى عدة بلدان أو قارات وعادة ما يصاب عدد كبير من الناس، وهذا الوباء الذي تحول إلى جائحة فيروس كورونا المستجد "كوفيد 19" المسبب "cirona virus-SARS-Cov-2" والذي ظهر في وهان الصين 2019، وانتشر إلى بقية دول العالم، وتمثل فيروسات كورونا فصيلة كبيرة من الفيروسات التي تسبب أمراض متنوعة للإنسان كالزكام، نزلات البرد العادية، ومتلازمة كورونا الشرق الأوسط التنفسي "MERS-COV"، ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم "SARS-COV" ويعد فيروس كورونا

المستجد "SARS-COV-2" سلالة جديدة لم يسبق تحديدها وإصابتها للبشر من قبل، أعلنت منظمة الصحة العالمية أن كوفيد 19 هو الاسم الرسمي لهذا المرض الذي يسببه هذا الفيروس (الدردري، 2020، د ص)

3- مشكلات المدن

المدينة هي أعظم حدث حضري وأعقد نمط عمراني شيدته عقلية الإنسان وهي نظام اجتماعي تشكل وتوسع بفعل عدة عوامل أبرزها العوامل السكانية النمو الديمغرافي الزيادة الطبيعية، والعوامل الاقتصادية والإدارية... الخ، وتتكون المدن من مجموعة متنوعة من الأنشطة البشرية، وينتج عن جميع هذه الأنشطة اضطرابات في البيئة سواء من مصادر محددة أو غير محددة، وجود مثل هذه الاضطرابات البيئية يعني أن المناطق الحضرية تتعرض للعديد من المشكلات البيئية والتي تعرف عادة بـمشكلات الأجندة البنية وهي تتصل بـمشكلات البيئة الحضرية الداخلية من مشكلات الصحة البيئية ومشكلات التصنيع فـمشكلات الصحة البيئية هي تلك المشكلات المرتبطة بعدم تناسب المأوى والخدمات، ومشكلات التصنيع "سوء التعامل مع المخلفات الخطرة" (الفقي، 2008، صفحة 19، 20).

يزيد سكان المدن 60 مليون نسمة كل عام، أي ما يزيد عن مليون نسمة كل أسبوع (الفقي، 2008، صفحة 19)، ومن المتوقع أن يتجاوز عددهم تسعة بلايين بحلول عام 2050 وستة بلايين منهم يقيمون في المدن، ومن المتوقع أن تشهد البلدان النامية نسبة 99% من النمو السكاني إضافة إلى 50% من النمو الحضري (فليبس، سميث، www.un.org) فسرعة التوسع الحضري ونطاقه يحملان تحديات "توفير الإسكان النقل البنية التحتية الوظائف... الخ لاسيما قرابة المليار نسمة من فقراء الحضر يعيشون في مناطق عشوائية كي يكونوا على مقربة من هذه الوظائف، يجري 90% من التوسع الحضري في البلدان النامية بالقرب من مناطق معرضة لمخاطر طبيعية، والأنهار والسواحل، وفي تجمعات سكانية عشوائية وغير مخططة، ضف إلى ذلك الصراعات الآخذة في الازدياد مما أسفر عن 60% ممن وجودوا قسرا في مناطق حضرية (البنك الدولي www.albankaldawli.org).

إن حدة وتعقيد مشكلات البيئة الحضرية تتغير تبعا لمستوى تطور المدينة فالمدن الفقيرة هي الأكثر تأثرا بـمشكلات الصحة البيئية والتي تكون عادة محتواة بشكل كبير داخل حدود المدينة، ومع ارتفاع دخل المدينة وتطور اقتصادياتها يواجه سكانها مشكلة مزدوجة من مشكلات الصحة البيئية من جهة والتلوث الناتج عن ارتفاع معدلات التصنيع والذي يمتد آثاره إلى المنازل وحتى الإقليم، كما تكون مشكلات المرافق الصحية المنزلية "إمدادات المياه النقية، الربط بشبكة الصرف الصحي من عدمه، التعامل مع المخلفات المنزلية.. الخ" هي الأكثر حدة، وهي مشكلات محلية

النطاق، مباشرة التأثير، وتهدد الصحة العامة للسكان(الفقى،2008،صفحة23،22) كما تؤدي المدن دورا في التصدي لتغير المناخ ،لأن تعرضها لمخاطر المناخ والكوارث يزداد مع نموها فقرابة نصف مليار شخص يعيشون في مناطق ساحلية الأمر الذي يعرضهم لخطر عصف الرياح القوية وارتفاع منسوب مياه البحر (البنك الدولي ،www.albankaldawli.org)

لذلك تعاني المدن عامة من العديد من المشكلات ولكن تختلف في حدتها حسب مؤشر التطور إلا أنه ومن خلال التداعيات والتحديات التي أفرزها وباء كورونا يجب أن تعزز هذه المدن بأنظمة وقائية في مجالها لتكون أكثر صحة.

4- الأوبئة عبر التاريخ

عبر التاريخ كانت الأوبئة من أكبر صناعات التغيير في مسار البشرية وأثر على الحضارات منذ أول تفشي لها في اليونان القديمة عام 430 ق.م مروا بطاعون "جاستيان" 541-750، والموت الأسود في العصور الوسطى والذي قتل ثلث سكان أوروبا الأمر الذي عجل في حدوث التغير الاجتماعي، وتراجع النظام الإقطاعي في أعقاب ما فتح الباب واسعا لتغيرات اجتماعية كبرى (د.م، 2020، <http://www.aljazeera.net>)، والكوليرا في القرن 19م فكانت البوادر الأولى للتخطيط الحضري بعد هذا الوباء الذي ضرب مدينة لندن سنة 1854، والإنفلونزا الإسبانية القرن 20م حيث تم ممارسة ما يعرف بالديكتاتورية الصحية" السيطرة على الأشخاص غير المهتمين بالنظافة"

وفي المجتمعات القديمة الهند، الصين ومصر لسبعة سنوات من الأوبئة التي حصدت أرواح الملايين من البشر على مدى تاريخ امتد لستة قرون فالجذري والإنفلونزا والحصبة والتيفوس والملاريا والجذام والكوليرا والطاعون الدملي ، كانت كلها أوبئة موجودة بالهند والصين منذ عهود بعيدة ولكن نتيجة لحركة انتقال البشر السلمية ، حركة التجار والتجارة أو العدوانية مثل الغزو الاستعماري في إفريقيا والأمريكتين، أو حركة الانتقال القهري لعبيد إفريقيا فقد انتقلت الأوبئة إلى أماكن وشعوب جديدة لم تكن فيها من قبل، كما عانت أوروبا هي الأخرى وكما عانت جنوب وغرب أوروبا من نفس الأوبئة، فقد هاجم الطاعون أوروبا كما هاجم مصر وعانت الهند من الكوليرا كمرض متوطن كما عانت منه إنجلترا كوباء، وعانت الصين من الجذري الذي انتقل إلى أوروبا والأمريكتين، وعانت إفريقيا "جنوب الصحراء" من مرض الملاريا والحمى الصفراء الذي حصد أرواح الملايين (دونواتس، 2010، صفحة 23) .

والأوبئة تتعلق أساسا بمجموعات كبيرة من السكان وهناك علاقة بين المكان ونمط انتشار الأمراض المعدية ففي إفريقيا المدارية ينتشر الملاريا ومرض النوم للانتشار العائل الناقل وهو البعوض في حالة الملاريا وذبابة تسمى tse-tse في حالة مرض النوم ويندرج هذين المرضين في المناطق الشمالية من العالم لعدم وجود مسببات المرض(دونواتس ، 2010، صفحة 23)

إن الكوارث الطبيعية والبيولوجية من طواعيين وأوبئة وجوائح شأنها في ذلك شأن الأزمات الاقتصادية والسياسية وغيرها تلعب دورا حاسما في الجمود وتحريك التوازنات داخل الدول فيما بينها (عبد السلام، 2020، www.aljazeera.net) حيث كان الطاعون من ضمن الأسباب الرئيسية في انهيار حكم المماليك، إذ لم تقتصر عواقبه على حصده المستمر للسكان في موجات لا تتوقف في مصر والشام من عام 1347 وحتى الغزو العثماني عام 1517، ولم يكن وباء الطاعون قاصرا على الشرق الإسلامي، فالحقيقة التاريخية أنه جاء وأفدنا من أوروبا الغربية وانتشر هذا الوباء من موانئ البحر الأسود في عام 1347 عندما اعتلت فئران وبراغيث سفنا متجهة إلى جنوا الإيطالية حركة تجارية مزدهرة في حوض المتوسط، وارتبطت مع الدولة المملوكية في تحالفات تجارية، وسرعان ما وصلت السفن الجنوبية إلى سواحل مصر ومدنها ليعم الموت الأسود جنوبي وشمال المتوسط، وفي كل مرة وبعد كل وباء تتعقب المجاعات والانهيار الاقتصادي (عبد الرزاق، فياض، 2020، http://www-bbc-com.cdn.amproject.org) كذلك الطاعونين الجارفين في سنوات 1798-1800 و1818-1820 بالمغرب إضافة إلى المجاعات فكانت كوارث أدت إلى انهيار ديمغرافي كبير وإحداث هزات عنيفة في القطاعين الاقتصادي والاجتماعي (البزاز، 1992، صفحة 85-104)

إن مدن العصور القديمة قامت على أساس السيطرة السياسية على المناطق الزراعية والتجارية، وأن انهيارها يعود بصفة أساسية للغزوات والحروب التي تعرضت لها، بالإضافة إلى الأوبئة والأمراض التي كانت تفتك بمعظم سكانها، ثم تحكم في نمو المدن العاملان العسكري والديني وبذلك شهدت هذه الفترة ظهور المدن الكبرى، وتطور الحياة الحضرية حيث أخذت في النمو والتزايد، ثم هبط مستوى نمو المدن في عام 1348 حينما تعرضت أوروبا للأوبئة (هيكل، 2011، صفحة 134-136)

ومنذ عصر التنوير والثورة الصناعية ظهرت المدن السكنية، وخلال الفترة 1800-1900 تزايد الاهتمام بالصحة العامة من خلال التزايد في التقدم التكنولوجي والبحوث والاكتشافات العلمية التي كان لها الأثر في رفع النمو السكاني من خلال مقاومة الأمراض والأوبئة المنتشرة (هيكل، 2011، صفحة 135-137)، وفي منتصف القرن التاسع عشر اجتاحت وباء الكوليرا لندن وساهم في صوغ أوائل استراتيجيات الصحة العامة الحضرية.

1-4- أوبئة المدن:

اتسمت علاقة الأوبئة بالمدن وعبر قرون بالاضطراب ففي 430 ق.م قتل الجدري خمس سكان أثينا، وفي عام 1334 قضى الطاعون خلال ستة أشهر على ثلث سكان فلورنسا البالغ عددهم 90 ألف نسمة، كذلك انتشار طاعون الدبلي خلال القرن 6م والذي أدى إلى وفاة 30 مليون شخص، وقد عاد نفس الوباء لينتشر في أوراسيا خلال القرن 14م ليحصده ما بين 30 إلى 60% من الأروسيين لأنه كان ينتشر بين المدن متنقلا مع التجار (البنك الدولي، www.albankaldawli.org)

وجدت منذ قرن من الزمن حلول للأوبئة الحضرية، ولم تكن هذه الحلول قائمة على العلاج، بل عن طريق شبكات الصرف الصحي وإزالة القمامة، ويشابه الوضع الذي أدى إلى شلل مدينة لندن في تلك الفترة من خلال سوء شبكات الصرف الصحي، الاكتظاظ السكاني عن طريق الزيادة الطبيعية والهجرة، على نحو مخيف الأسباب التي تسبب انتشار الأوبئة الحضرية اليوم، فحسب تقديرات الأمم المتحدة لا يزال 2.5 مليار شخص يفتقرون للمرافق الحيوية والخدمات في المدن، فتسبب سوء شبكات الصرف الصحي ومياه الشرب غير المأمونة نحو 80 % من الأمراض في البلدان النامية (أنياك، www.rcrcmagazine.org)

وكان لتفشي الكثير من الأمراض الفتاكة في السنوات الأخيرة أبعاد حضرية ساهمت في انتشار الأوبئة وتعقيد إجراءات إحتوائها، فقد تسبب تفشي وباء الإيبولا في إفريقيا الغربية والحمى الصفراء في أنغولا بين 2014-2015 وفي جمهورية الكونغو الديمقراطية 2016 بظهور تحديات خطيرة في البيئات الحضرية، في الوقت الذي تعود فيه الكوليرا مناطق من العالم وتنتشر بشكل كبير في الأحياء المكتظة التي تعاني من نظام صرف صحي سيء أو منعدم (أنياك، www.rcrcmagazine.org)

علاوة على استفحال الأوبئة بسبب العولمة ازدادت مقومات الأوبئة بسبب تغير المناخ والتمدن الحضري، حيث أن تغير المناخ يساعد على توسع مواطن مختلف أنواع الحشرات الشائعة الحاملة للأمراض، مثل انديزا يجيبي التي تستطيع نشر حمى الدنك، والشيكونغونيا وزیکا، والحمى الصفراء، أما التمدن فيعني عيش مزيد من البشر في أحياء متقاربة مما يزيد من قابلية انتقال الأمراض المعدية، ويجبر نمو العشوائيات في المناطق المتمدنة على نحو سريع يعمل على زيادة عدد الأفراد يعيشون في ظروف صحية دون المستوى (بلوم، كارديت، سيفيللا

(<http://www.imf.org/external/arabic/plus/fr/fandd/2018/06/pdf/bloo>)

5- واقع المدن بعد انتشار وباء كورونا وجهودها للحد منه:

لقد أدت عوامل كثيرة يتصدرها التزايد في النمو السكاني والتحضر السريع والتدهور البيئي وإساءة استخدام مضادات الميكروبات وغيرها إلى خلل في التوازن لبيئة الميكروبات الحية وتسببها في ظهور وتفشي أوبئة وجوائح جديدة مثل جائحة فيروس كوفيد 19 المستجد بمعدلات غير مسبوقة، أدت إلى تدهور في صحة الناس وتسببت في آثار اجتماعية واقتصادية.

بعد انتشار فيروس كوفيد 19 خارج الصين أصبح المجتمع العالمي كله يعيش انتشار الوباء ووقعه وأثره الإنساني والاجتماعي والاقتصادي، وقد أعلن خلال شهر مارس إغلاق كامل أو شبه كامل للأنشطة الاجتماعية والاقتصادية وتطبيق إجراءات صارمة لمحاصرة الوباء، مدن كبرى في العالم تحولت إلى مدن صامتة مغلقة بالخوف والقلق وفقدان اليقين، وترسم المخاطر الصحية للفاشية والأوبئة الخوف والفرع المصاحبان لهما خريطة المخاطر الاقتصادية المختلفة، فالوباء

أصاب العملية الاقتصادية على مستوى العالم وبكافة مراحلها مما أدى إلى تفاقم التدهور الاقتصادي خاصة في قطاع الخدمات، فقد كان النصف الشمالي للكرة الأرضية الأكثر تضرراً من الوباء، حيث سارعت الدول للإنفاق على مؤسساتها الصحية وتقديم مساعدات للفئات الهشة وإنقاذ الشركات والمصانع والخدمات المتأثرة من الغلق الكلي أو الجزئي، ومن جراء إجراءات الغلق انخفضت معدلات التلوث.

وتشكل جائحة كورونا تحدياً جسيماً للمدن في الخطوط الأمامية، الغنية والفقيرة على السواء وللتدابير التي اتخذت لاحتواء انتشار الفيروس آثار وتداعيات هائلة على المدن تبعاً لهيكلها الاقتصادي، ومدى استعدادها لمواجهة مثل هذه الأزمة، لاسيما حالة أنظمتها الصحية والخدمات التي تقدمها، ومدى تعرض صحة سكانها وسبل كسب أرزاقهم للخطر وهي جميعاً مؤشرات لمدى نجاعة أنظمة حوكمتها الحضرية.

6- الأمن الصحي ضرورة ملحة في عملية التخطيط والنمو الحضري للمدن بعد وباء كورونا:

للاهتمام بصحة المدينة وبيئتها ظهرت العديد من المنظورات التي جسدت ذلك فكان ابن خلدون من أوائل من تطرق في كتاباته إلى عدد من الموارد الطبيعية التي يجب أن تتوفر في تخطيط المدن وذلك خلال القرن 14م (الفق، 2008، صفحة 39)، وفي مطلع القرن 20م فقد كان من أشهر من اهتموا بالعلاقة بين المدينة والطبيعة لنجاح عمليات التخطيط "باتريك جيدس" Patrick Geddes والذي يعتبر من أنصار المدخل العضوي لتخطيط المدينة مركزاً على تناغم العلاقة بين المدينة والاقليم، المدينة والبيئة واستخدامات الأرض داخل المدينة والدور الهام للعملية التخطيطية في تحقيق هذا التناغم (الفق، 2008، صفحة 39)، أما بالنسبة لـ إيبينزر هاورد Ebenezer howard صاحب نظرية المدن الحداثكية حيث يرى أن المزاوجة بين الحضر والريف يمكنها أن تساعد عمليات التعمير وتخلق بيئة صحية تنتج مواطنين قيمين (الفق، 2008، صفحة 39.40).

وفي سياق ذلك ومن خلال تداعيات وباء كورونا العالمي وجب إعادة النظر في التصميم والتخطيط العمراني للمدن وأخذ المنظورات السالفة الذكر بعين الاعتبار وإدراج عوامل أخرى، حيث أشار الخبير الدولي "أحمد الطلحي" المتخصص في العمارة الإسلامية أن وباء كورونا كشف أن المدن العصرية غير مؤهلة لمواجهة الأزمات الصحية لذلك وجب التفكير في مراجعة التخطيط الحضري وقوانين البناء والتعمير والسياسات الحضرية الحالية، حيث أصبح من المهم الاستفادة من وباء كورونا في إدارة المدن تخطيطياً وتنظيماً ومعرفة علاقة تخطيط المدن بسرعة تفشي الأوبئة، وانطلاقاً من الإجراءات المعتمدة لمواجهة الأوبئة والمتمثلة في مسافة التباعد الاجتماعي والحجر الصحي وعليه ينبغي أخذهما بعين الاعتبار في التخطيط لمدن المستقبل حتى تكون لها مناعة من الأوبئة وبالتالي تم طرح مفهوم "المناعة الصحية للمدن" إضافة إلى الأخذ بعين الاعتبار

لمجموعة من السياسات والاستراتيجيات وتتم هذه المراجعة على أربعة مستويات (طلحي، <http://www.aljazeera-netcdn.ampporject.org>)

مستوى البنية:

- مستوى البنىات المخصصة للسكن: من خلال إجراءات الحجر الصحي في المساكن والتي فرضتها الحكومات كشرط أساسي لمنع انتشار الوباء الأمر الذي أظهر حقيقة المساكن أنها معدة فقط للنوم كون الحياة العصرية يقضيها الإنسان خارج مسكنه في العمل والمواصلات الدراسة...الخ، ضف إلى ذلك غياب الشروط الأساسية والصحية لأغلب المساكن من إضاءة تهوية وتعرض لأشعة الشمس، فضلا عن حجم المسكن والذي طرح العديد من المشكلات من خلال فضائه الضيق والتي تصدرها ظاهرة العنف الأسري والازدحام، لذلك لا بد من مراعاة حجم السكن لكي يكون صالحا لقضاء أطول مدة بداخله دون الشعور بالملل، وأن يكون كافيا للممارسة العمل الرياضة الدراسة اللعب للأطفال خاصة في ظل التطور الحاصل في مجال الرقمنة والاتصالات وأنظمة المعلومات مما يفتح المجال لممارستها مستقبلا في البيت أي بيت يستجيب لكل مرحلة عمرية.

- مستوى البنىات المعدة للوظائف غير السكنية "تجارية": أظهرت الجائحة أن المساحة المحدودة للبنيات هي العائق الأكبر في مزاوله نشاطها لذلك وجب تخفيض عدد المستخدمين ووضع إجراءات لاحترام مسافة التباعد الاجتماعي، مما يستوجب إعادة النظر في فضاءات هذه البنىات لتحقيق التباعد الاجتماعي إضافة إلى احترام الشروط الصحية لها.

- مستوى الحي: الانتقال بين الأحياء في المدينة عامل أساسي لانتقال الوباء لذلك لا بد من إقامة أحياء تتوفر فيها كافة المرافق والخدمات لتسهيل عملية الحجر الصحي ومنع انتشار الوباء.

- مستوى المدينة: كانت الكثافة السكانية والتوسع العشوائي للبناء عوامل ساهمت في إعاقه مواجهة الوباء، لذلك يجب العمل على مواجهة السكن العشوائي من جهة والتحكم في الكثافة السكانية من خلال تعدد مراكز المدينة، ونشر مرافقها في الأطراف، وترك الفضاءات الفارغة والعمل على جعلها أحزمة خضراء وما لها من إيجابيات على المستوى الجمالي للمدينة والنفسي للسكان.

فمن ناحية كون المدينة مركزا للخدمات، فإن مدينة نهاية القرن 21م حتما ستواجه تغيرا كبيرا في طبيعة وكيفية تقديم هذه الخدمات (أبوقرين، 2020، صفحة 317)، فإذا كان اليوم يشهد تطورا كبيرا في تقديم الخدمات العلمية وظهور القنوات التلفزيونية والشبكات التعليمية وظهور ما يعرف بالتعليم عن بعد فإن المستقبل يحمل في طياته الكثير من التطورات التي تجعل من نظام التعليم الحالي أشبه بكتب الماضي، فدور المدرسة التقليدي سوف يتقلص وفي ضوء التكنولوجيا المستقبلية والمسافة بين المسكن والمدرسة سوف تزداد كثيرا، وقد خلقت الأزمة الحالية دفعة لجميع أنواع المنصات الرقمية التعلم...الخ

أما الخدمات التجارية فإن نظم التسوق الحالية سوف تتغير، فقد بدأ التغيير من خلال ظهور نظم التسوق من خلال شبكات المعلومات التجارية والقنوات التلفزيونية، وحتى أنظمة الدفع الإلكتروني أخذت في طريقها للتطور كذلك وخاصة أن نظم التسوق والدفع هذه توفر الوقت والجهد والمال وهي الأخرى تشهد تقدماً كبيراً ما يعني تقليص عدد المحلات التجارية ومساحات التعامل مع الجمهور، كذلك الخدمات الصحية هي الأخرى تشهد تطوراً وستعرف هي الأخرى تغييراً في طبيعة الخدمة من جهة وطريقة تقديمها من جهة أخرى فمن المتوقع ظهور مراكز صحية متخصصة واختفاء الوحدات الصغيرة، أما فيما يخص خدمات البريد سوف تختفي وتتم عن طريق شبكة المعلومات.. الخ (أبوقرين، 2020، صفحة 315-318)

حيث حددت هيئة الصحة العامة الأمريكية بعض النقاط والتي تعتبر أهداف رئيسية يجب أن يعمل أي مخطط لتحقيقها كحد أدنى وهي تعتبر أهداف رئيسية لعملية التخطيط وهي كالآتي (أبوقرين، 2020، صفحة 147):

- الحماية ضد الأخطار المفاجئة مثل الزلازل والفيضانات والأعاصير
 - الحماية ضد العدوى وتوفير الصيانة والنظافة.
 - توفير قدر كافي من التهوية والإضاءة الطبيعية والتشميس.
 - الحماية من الضوضاء الزائدة.
 - الحماية من تلوث البيئة.
 - الحماية من الإرهاق وتوفير الخصوصية الكافية.
 - توفير الفرصة لحياة ملائمة للأسرة والمجتمع، مع توفير الحماية من الأخطار الأخلاقية
 - إمكانية توفير قدر مناسب من الإشباع الجمالي.
- 1-6- سياسة الأحزمة الخضراء:

أداة تخطيط إقليمية تستخدم بشكل خاص في تحديد توسع المدن غير المنتظم والسريع نسبياً خاصة عند حدود المدينة، وهي مناطق مفتوحة تستعمل كمنطقة عازلة ضمن المناطق الحضرية، وذلك من خلال عدم السماح للمدن القريبة بالاندماج ومنع التوسع غير المنتظم للمدينة والسيطرة على عدم استغلال الأرض الزراعية للأغراض السكنية والصناعية، وتمثل هذه الأخيرة مناطق عازلة في تأثيرات الغبار ومناطق ترفيهية ومناطق عزل للملوثات الصناعية (العزاوي، 2016، صفحة 225).

2-6- التنمية المستدامة والتوازن البيئي:

لتحقيق التنمية المستدامة لابد من تلبية احتياجات الحاضر دون التضحية بمتطلبات المستقبل ضرورة ملحة وذلك انطلاقاً من مبدئين أساسيين الأول يتمثل في محدودية الموارد

الطبيعية والثاني الموارد الطبيعية ملك للإنسان أي للجميع في الحاضر وللأجيال الأخرى في المستقبل، كما هي ملك لكل الكائنات الحية، ولتحقيق التوازن بين البيئة والتنمية وبين قدرة البيئة على العطاء والعمل "الإنتاج والاستهلاك"، أي بمعنى تحقيق تنمية اقتصادية ورفاهية اجتماعية بأقل قدر ممكن من الاستهلاك للموارد الطبيعية وبالحد الأدنى من الأضرار البيئية "التلوث"، ولا يتم هذا إلا من خلال التخطيط لآليات هذه العلاقة من خلال موقع النشاط الاقتصادي، فالموقع الأفضل هو ذلك يكون فيه استغلال الموارد، وكفاءة الاستثمار والتطور التكنولوجي في حالة انسجام وتناغم وتعمل على تعزيز إمكانية الحاضر والمستقبل (العزاوي، 2016، صفحة 59)

لقد تجاوزت المشاكل البيئة الحدود السياسية، من مجرد تلوث عناصر النظام الطبيعي الرئيسية "الهواء الماء التربة" مثل مشكل التصحر والذي يؤثر في حياة سدس سكان الأرض والإجراءات الوقائية لمكافحة التصحر أو مشاكل تدمير الغابات وإحراقها في الحفاظ على الثروة البيئية والتغير المناخي واستنزاف طبقة الأوزون واعتماد حماية الغلاف الغازي للأرض، هذا بالإضافة إلى ضرورة الحفاظ على التنوع البيولوجي وصيانة أعداد أكبر من الأنظمة البيئية الطبيعية، ومسألة اعتماد تكنولوجيا وفق معايير المعالجة والتصريف للنفايات الحضرية والصناعية، باعتماد طرق علمية لتجاوز سلبياتها وتحويلها إلى منتجات لتقلل من نسب تلوثها للبيئة، بل استغلالها واستثمارها اقتصاديا مع مراعاة القدرة المحدودة على استيعابها والاستخدام الرشيد للموارد (العزاوي، 2016، صفحة 60، 61).

كما يحتم الواقع استخدام الطاقة المتجددة على صعيد البيئات الحضرية بأهمية كبيرة باعتباره خيارا مستقبليا للطاقة المستدامة، سواء من أجل تلبية الطلب المتزايد على الطاقة الحضرية أو للحد من الانبعاثات، ومع استمرار تقدم التكنولوجيا سوف تصبح الطاقات المتجددة أكثر كفاءة باستمرار وفعالة من حيث التكاليف ومتاحة ومستدامة. (فليبس، سميث <http://www.un.org>).

3-6 استراتيجية المدن الجديدة:

هو شكل من أشكال التنظيم المكاني الذي طبقته الكثير من أقطار العالم سواء المتطورة أو النامية، وبدلا من التفكير في زيادة الطاقة الاستيعابية، باعتبار أن المدن الجديدة من البنى الإرتكازية الاقتصادية الأمثل للمشاريع التوسعية الجديدة من المدن القائمة وذلك لأن هذه الأخيرة تحتاج إلى نفقات أكبر من إقامة مدن جديدة، ويتم تبني هذا الأسلوب لاختلال التدرج الهجري لشبكة المدن والنظام الحضري، اختلال التوزيع المكاني المتوازن للسكان وكثافتهم، استغلال الموارد الاقتصادية، المبررات السياسية والإستراتيجية والأمنية، وتمثل بريطانيا البلد الذي أنشئت فيه المدن الجديدة وتأثرت بهذه التجربة مختلف دول العالم والتجربة في الأقطار الرأسمالية تتضمن مدن الحدائق، مدن الشركات، مدن التوابع، والمدن المستقلة (العزاوي، 2016، صفحة 126، 127)

أما على مستوى الشبكة الحضرية المدن العملاقة والكبرى والكوكبية أصبحت في زمن الوباء خيارات غير مجدية لصعوبة التحكم في الوباء لذلك فالحل الاستراتيجي هو جعل الشبكة الحضرية تنتشر لتغطي كل إقليم الدولة من أجل التوزيع المتساوي للكثافة السكانية وذلك لا يتم إلا بالعدالة في التنمية الحضرية، وفي مدينة المستقبل تظهر الهجرة من المركز إلى الضواحي وإلى الأطراف البعيدة مع الانخفاض الكبير في كثافة السكان وزيادة في مساحتها وفي كل الاتجاهات) أبو قرين، 2020، (صفحة 317)

وهناك مجموعة من القيم الواجب توافرها في عمليات التخطيط الحضري فتتصدرها القيم البيئية لما لها من أهمية من خلال الحفاظ على الموارد الطبيعية للبيئة من كل أشكال التلوث والاستدامة كقيمة حضرية شاملة، إضافة إلى حماية البيئة الثقافية وتاريخ المجتمعات وإرثها الحضاري وهويتها الثقافية، وتلها القيم الاجتماعية من خلال تلبية الحاجات الاجتماعية للإنسان مثل الانتماء والأمن والمشاركة في تنمية المجتمع، إضافة إلى القيم الأخلاقية لضمان التجانس بين الأخلاقيات النابعة من دين المجتمع وبنية المدينة، كذلك القيم الوظيفية الاقتصادية من خلال الاستغلال الأمثل لمكانيات المجتمع الطبيعية والاقتصادية والتكنولوجية، دون إغفال أهمية القيم الجمالية من خلال إضفاء اللمسة الجمالية على المشروعات الحضرية لتكون مريحة من الناحية البصرية والنفسية، والتركيز على معيار العدالة المكانية والتوازن الإقليمي ومعيار الأمن كضرورة اجتماعية في التخطيط الحضري (أبو قرين، 2020، صفحة 87-96) كما برزت أحد الحقائق المهمة خلال فترة وباء كورونا أن التخطيط الحضري لا يتعلق فقط بمادية المدينة ومكوناتها ولكن حول مشاركة المواطنين في إنتاج المدينة.

ويعتبر مفتاح ضمان الاستدامة طويلة الأجل في خطط الصحة الوقائية لمواجهة الأوبئة والجوائح، هو دمج هذه الخطط في وحدات الرعاية الصحية الأولية مما يكفل أنظمة صحية مرنة قادرة على الاستعداد والاستجابة والتكيف مع الطوارئ بفعالية، والتعلم من الدروس والخبرات في التعامل مع الأوبئة السابقة.

كما أن دراسة وتقييم مستوى أداء القطاعات الحضرية المختلفة ودورها في تجاوز وباء كورونا والعمل على تلافي أوجه القصور في السياسات التخطيطية والتصميمية لتقوية دور المدن وتعزيز قدرتها في الأزمات (العزاوي وآخرون، 2020، د ص) لذلك وجب العمل على جعل المدن صحية مع الأخذ بعين الاعتبار الأسس الصحية للوقاية من الوباء المعولم، كما كان للأوبئة التي اجتاحت المدن في السابق دور فاعل في تحديد معايير شكل المدن الحديثة " بناء المباني والشوارع .. الخ

4-6- المدن الصحية:

المدينة الصحية هي المنطقة الحضرية التي تتمتع بمعظم الموصفات الجيدة من الناحية الصحية والبيئية والخدمات المجتمعية، وتتميز بشكل خاص من التنظيم والإدارة المجتمعية

الفاعلة، ونظرا لأن لكل مدينة هويتها الخاصة بها فإنه من الصعب وضع معايير محددة يتم تعميمها على كافة المدن، كما أنه من غير الممكن إتباع استراتيجيات أو خطوات تنفيذية موحدة في جميع المدن ، لكن من الممكن وضع بعض الخطوات التنفيذية العامة التي تمكننا في حالة الالتزام بها والعمل بموجبها من الوصول إلى تعزيز الصحة العامة لأفراد المدينة وتحسين نوعية حياتهم لتصبح مدينتهم مدينة صحية(وثائق وزارة الصحة، 2015، صفحة 24)

وقد حدد مركز الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية معايير لقياس ازدهار المدن وذلك انطلاقا من خمسة أبعاد هي (أبوقرين، 2020، صفحة 106):

- الإنتاجية: وتمثل إنتاجية المدينة ما تنتجه من سلع وخدمات خلال العام.
- جودة الحياة: وفيه دمج لثلاثة معايير فرعية التعليم، الصحة، الفراغات العامة.
- تطور البنية الأساسية: وفيه يدمج معيارين فرعيين البنية الأساسية للإسكان وشبكات البنية الأساسية ونوعيات الإسكان ومستوياتها.
- الاستدامة البيئية: ويقاس جودة الهواء،، وتلوث البيئة الداخلية.
- العدالة والاحتواء الاجتماعي: ويقاس التفاوت في الدخل والاستهلاك والفوارق في توزيع السلع والخدمات.

ولتحقيق ذلك والوصول إلى مدينة صحية يجب إتباع نهج تشاركي يدعم عمليات التنمية المستدامة وذلك من خلال ما يلي (وثائق وزارة الصحة، 2015، ص ص22، 21):

- لابد من وجود بيئة صحية آمنة في المسكن وخارجه
- توفير نظام بيئي مستقر يتسم بالاستدامة
- قيام مجتمع يتمتع أفراده بصفة التعاون.
- وجود درجة عالية من التعاون والشاركة بين مختلف القطاعات من جهة وبينهم ومجتمعهم من جهة ثانية.
- توفر المتطلبات الأساسية كالغذاء الصحي والمياه الصالحة للشرب والدخل المناسب وغيرها.
- وجود آليات مناسبة لتنمية مواردها المحلية وتنوعها
- ارتفاع المستوى الصحي لأفراد المجتمع ، وانخفاض ملحوظ في معدل انتشار الأمراض التي يمكن الوقاية منها.

كما يعتمد منهج المدينة الصحية في أسلوب تنفيذه على التعرف على الأبعاد والمحددات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والروحية التي تؤثر على الصحة كي يتم التصدي لها مجتمعة بمشاركة كافة القطاعات المعنية.

5-6 - المدن الذكية:

أظهر الوباء من خلال إجراءات مواجهته الاعتماد الكلي على شبكة المعلومات الدولية التي أضحت الركيزة الأساسية لحياة المدن، مما يستوجب تعزيز البنية التكنولوجية فيها ودعم برامج التحول الرقمي وإستراتيجية المدن الذكية على نحو أوسع نطاقاً، والعمل على تعزيز الأمن القومي في بعده التقني، من خلال التخطيط الحضري الذكي والمستدام على مواجهة الأزمات كما في جائحة كورونا فتمتيز المدن الذكية بعناصر عدة تؤهلها لإدارة الأزمات الطارئة وجذب الاستثمارات الأجنبية، لذلك لا بد من تعزيز البنية التكنولوجية في المدن ودعم برنامج التحول الرقمي وإستراتيجية المدن الذكية (العزاوي وآخرون، 2020، د.ص).

7- خاتمة:

خلاصة القول أن وباء كورونا الذي تحول إلى جائحة لم يفرز مشكلة صحية فقط بل مشكلات وعلى جميع الأصعدة والتي لا تزال افرازاتها على المستوى البعيد، لذلك تطرح حتمية بناء مدن شاملة للجميع وصحية وقادرة على الصمود ومستدامة وذكية تؤدي وظائفها، والأمر يتطلب تنسيقاً واسعاً للسياسات وخيارات الاستثمار، وللحكومات الوطنية والمحلية دور مهم يحتم عليها أن تتحرك الآن كي تشكل مستقبل تنميتها، وتتيح فرصاً للجميع، وذلك بإعادة النظر في المخططات والسياسات الحضرية التي يجب أن تتضمن أنظمة صحية وقائية من الأوبئة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبوقرين عنتر عبد العال(2020).مدخل إلى التخطيط الحضري.الدمام: مكتبة الملك فهد الوطني للنشر.
2. شال دونواتس(2010).ترجمة احمد عبد الجواد. الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الإمبريالية. القاهرة: مركز القومي للترجمة.
3. العزاوي فلاح جمال معروف(2016).التنمية المستدامة والتخطيط المكاني.الأردن: دار دجلة للنشر.
4. هيكل سعيد أحمد(2011).علم الاجتماع الحضري.عمان: دار أسامة للنشر.
5. وثائق وزارة الصحة(2015). دليل المدن الصحية.سلطنة عمان: المديرية العامة للرعاية الصحية الأولية.
6. البزاز محمد الأمين(1992).تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18م و19م .سلسلة رسائل وأطروحات .رقم 18.الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
7. الفقى عبد المنعم أحمد(2008). الإدارة البيئية للعمران الحضري، رسالة ماجستير . تخصص تخطيط عمراني، كلية الهندسة.القاهرة: جامعة عين شمس، القاهرة.
8. العزاوي علي وآخرون. تمكين المدن، التصميم والتخطيط الحضري في مواجهة الأزمات، وبنار ضمن فعاليات منتدى أسبار الدولي، 22أفريل 2020.

9. طلحي أحمد .مدننا ما بعد جائحة كورونا أنظر-www.aljazeera.net.cdn.ampproject.org
10. الدرددي طارق(2020). جائحة كورونا كوفيد 19 وتداعياتها على أهداف التنمية المستدامة 2030. نشرية الألكسو العلمية. طباعة رقمية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ع2. أنظر:www.alecso.org
11. عبد الرزاق عمر، فياض سارة . فيروس كورونا في كتابات المؤرخين وخيالات المبدعين، 12 أبريل 2020 أنظر: www-bbc-com.cdn.ampproject.org
12. فيليبس لورا، سميث وبييت. الطاقة الحضرية المستدامة هي المستقبل. أنظر www.un.org
13. أنياك ليلي. تفشي الأوبئة في المناطق الحضرية. مجلة الصليب الأحمر والهلال الأحمر، أنظر www.rcrcmagazine.org
14. الأوبئة والثورات الاجتماعية دروس العصور الوسطى الأوروبية لمجتمع أكثر عدالة بعد الجائحة. 2020/04/19. أنظر www.aljazeera.net
15. بلوم دفيد ، كادرايت دانيال ، وجي بي سيفيلا. الأوبئة والاقتصاد. أنظر imf.org/external/arabic/plus/fr/fandd/2018/06/pdf/bloom.pdf
16. البنك الدولي: التنمية الحضرية. www.albankaldawli.org
17. عبد السلام رفيق(2020). العالم العربي في مرحلة ما بعد كورونا.. إلى أين؟ www.aljazeera.net